

الصناعة وأثرها في كياننا القومي

للاستاذ محمد صبحي الدغشي

كانت الفكرة منذ أمد بعيد لدى كثير من الأوساط المصرية وعند معظم الأجانب المستوطنين في بلادنا أن مصر ستظل بلدا زراعيا بحتا الا أن الحكم بهذا التخصص لا يخلو من التعسف لأن الصناعات المصرية قد تطورت وخطت في أيماننا هذه خطوات وامعات في طريق التقدم والتطور .

إن موقف مصر في هذا الوضع شبيه بموقف العبياد الذي يذهب لاصطياد الوحوش الضارية ومعه سهم واحد في قوسه .

هذا هو حال بلادنا تماما أمام الحالة الاقتصادية القادمة بين الأمم فهل نغامر فيها وكل ما نملك من السلاح لا يتعدى نوعا واحدا ألا وهو القطن .

لقد أضحت الزراعة في الوقت الحاضر غير كافية لحاجات الأمم فلا غرو أن اعتمدت مصر من الآن في حياتها على هذا المورد الفزير مورد الصناعات التي لن يقوم بدونها للمدينة أدنى رقى . لقد اثبتت الظروف الحاضرة أن مصر أصبحت تنفتقر الى الصناعات افتقارها الى الزراعة وأنه قد آن أن نخلق من مصر بلدا صناعيا يساير مصر الزراعة جنبنا الى جنب لبنى حياتنا المقبلة على دعائم راسخة من العلوم والفنون ولنسير في طريق الاستقلال الاقتصادي كما هو شأننا الآن في حياتنا الاجتماعية . نريد أن لا نقنع بالوقوف في أما كننا وإنما نريد أن نسير وأن نسير دائما في طريق الصناعة والفنون ليحق للشباب النيل أن يساهم في موكب الحضارة والمدنية .

حضرات السادة، هل استطع أن أحدثكم عن الصناعات والصناعة في كل عصر صفحة الحياة ومظهر النشاط فاذا تقدم بها الزمن صارت رسالة الماضي الى الحاضر والمستقبل .

ومصر التي سبقت شعوب الأرض طرا بغسمت الشهور والعواطف والمعتقدات في الصخر وعلى جدران المعابد وفي داخل القبور والمنازل فيها أجدادنا الفراعنة من كل أداة تحفة ومن كل عمل فن . مصر بلادنا وشيكة استعادة هذا المجد بفضل إيماننا ووحى مليكا الشاب رمز العزة الوطنية ومنتهى الأمل فاروق الأول .

ففي مستهل عصره الحديث السعيد المديد شاء الله أن يتم لمصر عظمة نهضة البناء والإصلاح واحلال روح جديدة في نفس كل مصري لا من حيث الحقوق فقط بل من حيث الواجبات والتبعات أيضا . النهضة بشؤوننا الاجتماعية والصناعية من جميع نواحيها هي ركيز زعامة مصر في الشرق العربي . هذه النهضة هي التي يجب أن تتجه اليها الآن جهود الشباب باعتبارهم

عماد البلاد في البذل والتضحية. بالأسس محتم عليكم بذل الروح والجهود واليوم يتحتم عليكم أن تضجوا علمكم ووقت فراغكم وعزمكم ونشاطكم في خدمة مصر الحديثة .

قلت وقت فراغكم لأنني أحيب بوقت الدرس والتحصيل لأن الشباب منكم لا يستطيع أن يخدم البلاد الخدمة المثل إلا إذا كان مزودا بالعلم الصحيح ومسلحا بثقافة حديثة هناك تبعات يفرضها المجتمع عليكم بحكم أنكم الشبان أى أنكم القوة والنشاط والجمال .

فالقوة من معانيكم وخصائصكم وليست هي قوة الجسم ، بل هي قوة الجسم وقوة القلب وقوة الإيمان بالله .

ونشاط الشباب كذلك ليس قاصرا على النشاط المادى فحسب بل ولكنه يشمل النشاط المادى والمعنوى . وجمال الظاهر والباطن معا فأما الشاب الذى يعنى بظاهره ويحل نفسه بالثياب الفاخرة والصور الجذابة من غير أن يعنى بجمال باطنه ومن غير أن يهذب نفسه ويصقلها فذلك انسان مجرد من أهم معانى الشباب وخصائص تلك القوة في الجسم والنفس والقلب وذلك النشاط المادى والمعنوى . وهذا الجمال الصورى والروخى والخلقى هي المثل العليا للشباب . وكما أننا نمارس الرياضة البدنية بأنواعها لتقوية أجسامنا فلزام علينا أيضا أن نمارس أنواع الفنون التى نهواها والعلوم التى نرضاها والصناعات التى تليق بنا نكون من الفن والعلم والصناعة قوة في القلب وقوة في العقل ولنستطيع بالفن والعلم والصناعة أن نكاخ في معترك الحياة ولما كانت الصناعة أسمى مظهر من مظاهر العقل الانسانى وأدق مقياس لتطور مدنية الشعب . لذلك أود لشباب العمل أن يهوى الشباب الصناعة وهي عمل شريف وميدان فسيح ما دام القائمون بها يعملون بكل عزم وإخلاص وأمانة ولا نجاح لنحول في الصناعة ولا صناعة مع تحول بل وليس للعمول حظ مع الحياة لأن الحياة فضال مستمر لا يفوز فيها الا العامل النشط . والصناعة في حاجة قصوى الى التطور والتجديد ولا يتوفر ذلك الا لحب الاطلاع لاستنباط الطرق الحديثة والوسائل المتكررة المؤدية الى نجاح الصناعة ورواج المصنوعات في مصر وغير مصر .

وأما القول بأن الصناعة عمل لا يصلح الا للعمال وحدهم ولا يجوز بمثقف أو عظيم الاشتغال بها حتى ولا التفكير فيها فكلام لا معنى له لأن بقاء الأمم موقوف على الصناعات في حياتها وجميع شؤونها الاجتماعية ونظرة بسيطة الى ما حولنا وإلى الحياة التى نحياها في بلادنا بل في بلاد العالم نرى صناعات في صناعات .

أما النشاط الصناعى في مصر فانه مازال في دور البداية لأن عبء تركيز الحركة الاقتصادية التومية مازال الكثير منها واقع على الحكومة ولا نزاع على احتماله منذ أعلن استقلال البلاد في سنة ١٩٢٢ على الرغم من أن الادارة الحكومية لم تكن وقتئذ على استعداد للقيام بمثل هذا

العيب الثقيل . الواقع أن السلطات العامة ظلت من سنة ١٩٢٢ تعمل من ذلك الحين وهى تكاد تنصرف عما له ارتباط بالشؤون الصناعية بأى مسائل أخرى غير ما كان منها متعلقا بالزراعة وتصدير الانتاج الزراعى وكل ما تعدى هذا الحيز الضيق كان يعتبر أمرا ثانويا كان تابعا لسياسة الزراعية وخاضعا لأحكامها وضرورتها وما دام الأمر كذلك فلم يبق محلا للاندحاش إذا عرف أن من تولوا أمر الصناعة حين اعترمت مصر تحويل سياستها الاقتصادية نحو الوجهة القومية كانت تنقصهم الأسانيد الفنية وليس يجانبهم وقشذ من شبان مصر الاختصاصيين العدد الكافى للنهوض بأعباء المهمة الجديدة المفقاة على عاتقهم الخاصة بالحالة الاقتصادية العامة بالشؤون الصناعية بوجه خاص .

ولما كانت الأمم العظمى فى يومنا هذا لا يحق لها أن تزعم أنها بلغت نضجها أو قطعت شوطا بعيدا من مراحل النجاح ما لم يكن لها اقتصاد صناعى وطيد الأركان .

ولا يصعب ذلك لأن النشاط الاقتصادى والعلمى والعقل فى مصر إن لم تعضدهما الصناعة متضى علينا أن نتهى جامدين لا نتعدى حدود طورنا هذا . وليس هناك من ينكر أن فى وسع البلاد غير الصناعية أن تتعامل مع غيرها بفضل سهولة التبادل وسرعة ما تحتاج اليه من المنتجات وهذا كان حال مصر قبل الحرب العظمى الأولى يوم كان اقتصادنا زراعيا بحتا وما برحت بلادنا تفعله إلى حد كبير غير أن ذلك لا يتيسر إن لم يكن للبلاد إنتاج زراعى وافر يمكننا أن نشترى من البلاد الأجنبية جميع ما نحتاج اليه من المنتجات الصناعية . هذا كان شأن مصر قبل ازدياد عدد السكان ويوم كان دخلها الزراعى كافيا لسد حاجتنا المتزايدة إلا أن هذه الحالة ما لبثت أن تبدلت من نحو ثلاثين سنة تبدا تماما بسبب تزايد عدد السكان وازدياد حاجتنا كثيرا على دخل البلاد الذى أخذ يتناقص فى مجموعه بنسبة هبوط الأسعار الدولية فنناقص فى أثره دخل كل فرد من أفراد الأمة المصرية هذا فضلا عن أن هناك عددا متزايدا من الشبان أصبحوا لا يجدون لهم عملا فى الزراعة أو التجارة أو كانوا يتوقون ولا سيما خريج الجامعة والمعاهد العليا إلى الاشتغال بما هو أرق من الأعمال الزراعية وأوفر ربحا يتفق وإجازاتهم العلمية مضانا إلى هذه الضرورة المادية طموح الشباب بحق إلى قسط أكبر من الاستقلال الاقتصادى ورفع المستوى الاجتماعى .

فهذه الرغبات والمطامح أى إغناء الدخل القومى وتوفير رفاهية الأمة عامة وطبقات العمال خاصة والسعى فى تشغيل المتعطلين من شباب الأمة فى أعمال أرق من الزراعة من الوجهة الاقتصادية والفكرية والطموح إلى الاستقلال الاقتصادى والرغبة فى ترقية العمال

من الوجهة الاجتماعية واستقلال جميع الثروات الأهلية وترويج الإنتاج الزراعى مجليا كل هذه الأشياء لم يكن سبيل إلى بلوغها إلا عن طريق الصناعة كما حو شأن مصر اليوم .

والصناعة لا شك هى أسمى مظاهر النشاط الاقتصادى ونطاق العمل فيها لا يقف اتساعه عند حد إذ أن هذا الاتساع لا يتوقف أمره كما هو الحال فى الزراعة على عنصر ثابت بعد الأرض لا يتغير أى المساحة الصالحة للزراعة بل على ما فى الشباب من قوى كامنة يمكن أستخراجها وعلى ما تحتاج إليه البلاد من مصنوعات وما فى مصر من خامات وأنوال والصناعة ورفاهية العمال عامل من عوامل تكاثر السكان وأعظم مصدر للنشاط الابتكارى كما أن رفاهية العمال تؤدي حتما إلى ازدياد الحاجات وتوفر المال وهما العاملان الضروريان للإنتاج .

فلهذه العناصر المادية والمعنوية تتركز أسباب النهضة الصناعية فى مصر وهى التى تبرر قيام الصناعة فى البلاد وهذه العناصر مع مزايا الصناعة الاقتصادية والاجتماعية هى التى يتعين على الشبان من أجلها أن يوطدوا العزم على تدعيم منشأتنا القومية .

ولو نظرنا الى هذا الموضوع من الوجهة العامة لأمكننى أن أجزم أنه لولا الصناعة لما تمكنت مصر من المحافظة على توازنها الاقتصادى وأنه بفضل الصناعة تستطيع الشبيبة المصرية أن تنظر إلى المستقبل بعين قريرة وأن تنفث لها فى الحياة طريق العزة والمجد .

هذا دليل على مبلغ أثر الصناعة فى الاقتصاد القومى أما أثرها من الوجهة الاجتماعية فإنه يتعين على من يعمل فى فرع من فروعها أن يكون له من الاقدام وبعد النظر والمثابرة على العمل واحتمال التضحية وملكة الابتكار والثقافة الفنية والحبرة ما يزيد أضعافا مضاعفة على ما يحتاج اليه المشتغل فى غير الصناعات . كما أن متاعبنا نحن الصناعيين أكثر من متاعب غيرنا ولا يمكن التغلب عليها إلا بدوام الاعتقاد على هذه المزايا ، ولهذا فإن من المجازفة أن يقدم الشباب على الأعمال الصناعية دون أن يكونوا مستعدين لها الاستعداد الكافى فقلما حقق فيها بسبب عدم الاعتماد على تلك المزايا .

لأن تدعيم المنشآت القومية لم تكن مجرد شعور أو رغبة بل يلزم أن يتوافر فيها عناصر جمة خلقت هذا التدعيم وأهم هذه العناصر . الأخلاق ، الفن ، العلم ، حب العمل والصناعة

ولما كانت النهضة التى قامت بها أمثالنا من الأمم لم تكن لها آجال لكى تنمو وتزدهر لذلك يتحتم علينا أن نسير فى أقصر الطرق التى سارت عليها الأمم للنهوض ، ويجب أن لا يتبادر إلى الذهن أن التطور هو السير البطيء أو الجمود كما يجب أن أقول أن الطغرة

ليست هي الطيش فالتطور هو الانتقال من الجحود الى العمل بطفرة نحو الهدف نحو المثل الأعلى ، إن مصر بما جباها الله من مكان وما وهب شبابها من أيدي صناع وقرائح وأذعان هي جنة الدنيا وكثر الزمن وأنها قلب المشرق ينبض بالاسعاد في طول البلاد وعرضها فوطدوا أيها الشباب دعائم صناعة مصر وروجوا منتجات مصر وارفعوا مكانة مصر لتبوأ مصرنا مكانها السامي كاملة ذات سيادة وعظمة بين الأمم . هل أستطيع أن أحدثكم عما أعتقد من تبعات الشباب نحو مصر ورسالة مصر للشرق ومصرنا وقد انبعثت منها المدينة الأولى على ضفاف النيل العظيم ، تلك المدينة التي سادت الدنيا وبهرت العالمين ، كان أبائنا قواد المدينة فخللوا شحلة الفنون والعلوم والآداب سنين طويلة أصبحنا مقلدين في كل شيء وناقلين عن غيرنا كل شيء فكرا متنا تقضى علينا أن نشجع الشباب في معاهدنا وفي جامعاتنا وفي مصانئنا ليساهم شباب مصر في تقدم الفنون والعلوم والزراعة لبني الانسان .

أيها الشباب إن رسالتكم تسود وإن بوادر هذه الرسالة قد بدت تتحقق وما يشاهد هنا وهناك من آيات النهوض وأمارات التوثب وما فيكم من عزم وطموح الى المثل الأعلى.

وآية الآيات لعصر سعيد انبثقت أنواره مولاي الفاروق المفدى المتلى ، يحب الشباب المعتر بلإيمانه عاهل لواء مجد مصر المحكن الشرق من السيادة والعظمة أماشدكم أيها الشباب الطامح أن تبيدوا الى الوطني كرامته وتسقوا لنا في الحياة طريق العزة والقوة والمجد وإيمان يكون ذلك إذا أنتم عقدتم النية وأمضيتم الصزيمة فأرونا نياتكم في أعمالكم وعزيمتكم في جهادكم . إخواني الشباب أرغب أن أحمس في أذان حضراتكم بكلمة ولو كانت فيها غضاضة على أنفسنا جميعا أنه رغم ما وطدناه من عمل ما زلنا في أماكتنا بينا إخواننا شبان أوروبا وأمريكا شباب يقظ يواصل العمل نللي المجد حلموا وإلى العلى عاش الملك .

محمد صبحي الدغشي

خبير الصناعات بإدارة الفلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية